

En ◊ Ar

مكتبة تاريخي
تصفح المكتبة
مدونة



مشائرٌ سورية و هجرة

ابحث

حسن النيفي



الكلمات المفتاحية الأرشيف، الاعتقال والسجون، السياسة، حلب

”كانت عيناى تقتشان في زوايا المنزل عن وجه أُمى الذي لم يفارقني طوال سنوات الاعتقال، حتى أ خبروني بأنها توفيت“

نشأ حسن النيفي في أسرة ريفية بسيطة تقطن مدينة منبج في ريف حلب، وهي مدينة تجمع بين الطابع البدوي والحضري، حيث جاء قسم كبير من سكانها من المدن الكبرى، فيما توافد إليها آخرون من الأرياف، ما شكل مزيجاً اجتماعياً من العادات البدوية والحضرية.

كان حسن شغوفاً بالشعر والأدب العربي منذ صغره، واستطاع تحقيق حلمه بدراسة اللغة العربية في جامعة حلب عام 1983، وأصدر أول ديوان شعري بعنوان "هواجس وأشواق" وهو طالب في السنة الثالثة عام 1985.

انخرط حسن أيضاً في النشاط السياسي والثقافي في الجامعة، يقول في ذلك، "نحن جيلٌ تفتحٌ وعيننا على مرحلة خطيرة جداً من تاريخ سوريا، وهي مرحلة اللامناخات التي شهدت موجة من العنف والمواجهات الدامية بين تنظيم الإخوان المسلمين والسلطة الحاكمة، ولم تقتصر تلك المواجهة على الإخوان، بل تحولت إلى حالة من العصيان المدني شاركت فيه كثير من النقابات، حينها رأينا لأول مرة كيف كثرت السلطة عن أنبيائها ومارست أشد أنواع العنف ضد الشعب".

بعد أن تمكن النظام من سحق الإخوان المسلمين داخل المدن الكبرى وخاصة في حلب وبشكل أقل في دمشق وإدلب، قام بتمشيط جميع المدن السورية وبالترتيب، ففي كل يوم أو يومين كانت القوات تحاصر إحدى المدن وتمشط كل منازلها، يقول حسن، "في شهر آذار من عام 198٥، كنت أدرس مع أصدقائي في الحقل حين طوقت الدبابات مدينة منبج وأُصِبت الحواجز على الطرقات منذ الصباح، ولحسن حظي كان بيتنا على أطراف المدينة واستطعت أن أصل إليه بصعوبة، في ذلك اليوم أُعْتُقل نحو 1٥٥ شخص من أبناء منبج للاستيلاء بهم، ثم أفرج عنهم بعد نحو أسبوع".

ازدادت مرحلة ما بعد الثمانينات سوداء و غُيرت السلطة بطريقة تعاطيها مع المواطن بشكل جذري في ظل تغزل شديد لعناصر الأمن، كما تم إفراغ جميع مؤسسات الدولة من مضمونها الحقيقي حتى باتت الجيش والمخابرات يحكمان البلد بشكل فعلي، يقول حسن، "بدأت مرحلة تزواج بين رأس المال والسلطة والتي وصلت لذروتها في عهد بشار الأسد، حيث ارتبطت مصالح طبقة الأثرياء من التجار والصناعيين بالسلطة الحاكمة".

في ظل تلك الأوضاع، تشكلت قباعة لدى حسن وكثير من أبناء جيله، بأن النظام الحاكم هو غول يجب مقاومته، وكان السبيل الوحيد لذلك من خلال الانخراط بالتنظيمات السياسية السرية، وعلى هذا النحو، انتسب حسن إلى حزب البعث- جناح القيادة القومية الذي كانت قياداته متواجدة في العراق، واستمر في نشاطه المعارض حتى اعتقال عام 1986 وهو في سنته الجامعية الرابعة، يقول في ذلك، "كنتُ أقيم في السكن الجامعي حين حضر عناصر الأمن لاعتقالي، غورت ثيابي وهممت لارتداء خذائي فلم يسمحوا لي وقالوا أناي سأعوز خلال 15 دقيقة فحسب، ولكن تلك الدقائق تحولت إلى 15 عاماً قضيتها في السجون".

ويتابع القول، "بدأ التحقيق معي في فرع الأمن السياسي بمنطقة السلمانية، كنا مجرد أرقام بالنسبة لرجال الأمن الذين يمارسون شتى أنواع التعذيب التي لا قدرة للبشر على تحملها، اليوم وبعد مرور عشرات السنين، ما زالت أثار التعذيب موجودة على قفسي اليسرى".

بعد فترة التحقيق التي استمرت نحو 4٥ يوماً، نُقل حسن إلى سجن حلب المركزي، وقضى فيه خمس سنوات، يعتبر أنها كانت سهلة لأن السجن مدني ولا يتعرض معتقوه إلى الضرب والتعذيب.

في عام 1991 صدر عفو رئاسي هو العفو الأول من نوعه الذي شمل معتقلين سياسيين خلال فترة حكم حافظ الأسد، يقول حسن، "كان العفو عبارة عن مسامحات حيث يقدم فرع الأمن وثيقة للسجين تتضمن شروطاً ثلاثة ويجب عليه أن يوافق ويوقع عليها حتى يتم الإفراج عنه، وهي أن يمتنع سجنائه من حزيه ونعمه وإدائته لأفعاله السابقة وتاريخه السياسي، وأن يبدي استعداده للتعاون مع الأفرع الأمنية وتقديم كل المعلومات لها، وعلى هذا النحو، رفضتُ مع 18 معتقلاً آخر التوقيع على الوثيقة وبالتالي لم يتم الإفراج عنا".

نُقل حسن مع رفاقه الثمانية عشر إلى سجن عدرا في ريف دمشق، وتم تحويلهم إلى محكمة أمن الدولة، واستمرت جلسات المحاكمات لمدة عامين تقريباً، يقول في ذلك، "مكثتُ في سجن عدرا نحو أربع سنوات سنيهاها المرحلة الذهبية، حيث سُمح لنا باستقبال الزوار كل 15 يوماً، كما سمح لنا بقراءة الكتب والاستماع إلى الراديو، استمرت تلك الفترة بشكل جيد من خلال القراءة المنهجية التي فتحت أمامي أفقا معرفية واسعة في الفكر والتاريخ والأدب والفلسفة وغير ها".

ويتابع القول، "في العام 1994 صدر بحقي حكمين، 15 عاماً و 8 سنوات، مُنحت العقوبتان وتم تطبيق الحكم الأشد بينهما، وفي أواخر عام 1995 تمت مسامحتنا من قبل ثلاثة ضباط كبار للتوقيع على وثيقة أمنية ليتم الإفراج عنا، فوافق قسم من السجناء على التوقيع فيما رفض آخرون، وذلك بحسب الظروف الشخصية والصحية لكل منهم".

كان حسن من بين الممتنعين عن التوقيع، فلم نلقَ مع رفاقه بعد شهر إلى سجن تدمر العسكري، كانوا 8 سجناء من حزب بعث العراق، و 22 من الشيوعيين، يقول، "المحبين السنوات الست الأخيرة في سجن تدمر، وكانت تلك التجربة الأشد صعوبة في تاريخ اعتقال، فالقسوة والتعذيب فيه يفوقان طاقة البشر، ولا يتخيل الإنسان أن بوسعه مقاومة وتحمل كل ذلك، لقد تعرضنا للتعذيب والضرب اليومي حتى وصلنا لمرحلة من الانهيار النفسي والمعنوي، في ظل ظروف صعبة حتى أثناء النوم، حيث كنا ننام على الأرض بشكل إجباري عند السادسة مساءً، ونعاني من البرد الشديد والجوع بسبب قلة الطعام".

كان حسن ينظم الشعر في ذهنه ويحفظه دون تكوين، واستطاع بعد إطلاق سراحه أن يُصدر ديو أنا شعرياً باسم "رماد السنين" هو حصيلة نتاجه الشعري خلال سنوات السجن.

في أواخر شهر حزيران من عام 2٥٥٦، كان بشار الأسد تولي السلطة حديثاً في البلاد، فأصدر أمراً بإخلاء سجن تدمر وسجن المزة العسكري ونقل المعتقلين إلى سجن صيدنايا بريف دمشق، كان حسن ضمن الدفعة الأخيرة التي توجهت إلى سجن صيدنايا بتاريخ 1٦ آب، وقضى فيه آخر ثلاثة أشهر من مدة اعتقاله، يعتبر أنها كانت فترة نقاهة قبل الإفراج عنه نظراً لطبيعة السجن والمعاملة الجيدة مقارنة بتجربته السابقة في تدمر.

يقول حسن، "وصلتُ إلى مدينة منبج حوالي الساعة السادسة صباحاً، وكان السؤال الملح في ذهني طوال الطريق من دمشق إلى حلب إلى كانت أُمى ما تزال على قيد الحياة، استقبلني أخي وأبناءه وبنته، وفي أثناء تعرفي على عائلته كنت أنتقل بين الغرف وعيناى تقتشان في زوايا المنزل على وجه أُمى الذي لم يفارقني طوال سنوات الاعتقال، حتى أخبروني بأنها توفيت".

ويتابع القول، "خلال ساعة فقط، حضر الجيران والأقارب لتقديم التهاني والتبريكات، كان عليّ أن أجامل الناس وأسلم عليهم، وفي قلبي بركان تفجر بعد علمي ب وفاة أُمى، فاعتذرت من الضيوف متذرعاً بحاجتي إلى الاستحمام وأخذ قسط من الراحة، ولكن الحقيقة أنني دخلت الحمام لأبكي بكاءً شديداً لم أختبره طوال 15 عاماً من السجن رغم القهر والتعذيب الجسدي والنفسي الذي تعرضنا له هناك".

انتاج: منظمة شرق

احد مقابلات حزمة: سِير سورية

سجلت هذه المقابلة في: تركيا

تاريخ المقابلة: أيار 20١7

رقم المرجع: SOHT٥1

المزيد من هذه الحزمة

بادي دخل

يتذكر بادي عبد الله، من قرية العال، تجربة الزواج التي...

محمد أبو

لم يغادر محمد أبو حسن دمشق وريفها طوال فترة حياته...

نجاح عوض

نجاح عوض، فلسطينية سورية ولدت في مخيم اليرموك جنوب دمشق...

وهيب الحسيني

نشأ وهيب الحسيني في محافظة الحسكة ودرس في مدارسها ثم...

جميع المواد

sharq.org

انتاج



تابعنا عبر:

شروط الاستخدام
سياسة الخصوصية
فرص للتعاون
اتواصل بنا